تمهيد :

كانت سيرة الرسول (ص) اول مادونت بابا من ابواب علم الحديث (٢) وان اقدم مادون منها نجده عند قدامى التابعين حيث ظهرت سيرة الرسول (ص) بالمعنى الدقيق للكلمة في كتب تحمل عنوان « المغازى » و«السيرة»، وربما يكون الامام الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ اول من استخدم هذه الكلمة (٣).

ولو تتبعنا تاريخ التدوين في السيرة النبوية لوجدنا انفسنا امام طائفة من العلماء كرسوا جهودهم لهذا الغرض غاب عليهم علم الحديث وعدوا من رواته ومنهم :

عبد الله بن عمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣هـ صاحب الصحيفة المعروفة بـ (بالصادقة) (٤) وعبد الله بن العباس المتوفى سنة ٦٨هـ والذي كان يدرس المغازى في مجالس تدريسه ، والبراء لابن عازب المتوفى سنة ٧٤هـ (٥)، وسعيد بن المسيب المتوفى سنة ٩٤هـ ، وعروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ، وعبيد الله بن كعب المتوفى سنة ٩٥هـ ، وعامر بن شر حبيل الشعبي المتوفى سنة ١٠٣هـ ، وابان بن عثمان المتوفى سنة ١٠٥هـ ، والقاسم بن محمد بن

---

(١) اعتمدنا طبعة القدسي لسنة ١٣٥٦ هـ: وهي في جزئين.

(٢) التراجم والسير : ٣١

(٣) تاريخ التراث العربي: ٤٤٣/١

(٤) وقد رواها عنه حفيده عمرو بن شعيب.

(٥) نقل عن البراء بن عازب شيئا كثيراً من مغازى الرسول (ص) ينظر: مغازى رسول الله لعروة بن الزبير: مقدمة المحقق ص ٢٥.

ابي بكر الصديق المتوفى سنة ١٠٧هـ ، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة ١٢٠هـ وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣هـ ، والزهـــرى محمد ابن مسلم ، وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١هـ ومحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٢هـ ،ويحيى بن سعيد الاموي المتوفى سنة١٩٤هـ واخرون غيرهم (١).

قد بدأ المؤرخون بعد ذلك يؤرخون للسيرة النبوية من جوانبها العديدة فمنهم من يحصر الحديث في غزوات الرسول (ص) ومنهم من يطيل القول في الشمائل النبوية ، ومنهم من يتحدث عن اولاده وحفدته ، ومنهم من يتحدث عن اخلاقه ومنهم من جعل من السيرة محورا تدور حوله احداث التاريخ العربي الاسلامي ، وهناك من افرد سيرة الرسول بكتاب خاص قائم بذاته كما صنع القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ في كتابه ، الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، وكما صنع ابن سيد الناس في عيون الاثر ، وكما صنع المؤرخ مغلطاي المتوفى سنة٧٦٢هـ في الزهر الباسم في سيرة ابي القاسم ، وكما فعل المقريزى في كتابه ، امتاع الاسماع ، وشهاب الدين القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ في : المواهب اللدنية في المنح المحمدية ، ونور الدين الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ في كتابه :إنسان العيون في سيرة الامين والمأمون.

كذلك وقد افرد البعض جزءا من كتبهم التاريخية لسيرة الرسول (ص) كما فعل الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ وابن كثير المتوفي سنة ٧٤٧هـ، والديار بكري المتوفى سنة ٩٨٢هـ (٢).

ومجموع هذه التآليف بالرغم من الاختلاف الظاهر بينها من ناحيتي الموضوع والمنهجية تلتقي في نقطة اصيلة تدخل ضمن سلسلة متواصلة من حلقات التطور والكمال، شملت المنهج والاسلوب والدقة في رواية الاخبار وتحقيق النصوص والتثبت من صحتها وان هذا التطور بدأ مبكراً وعلى

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي ٣١/١ وما بعدها.

(٢)التراجم والسير: ٣٤ و٣٥

وجه التحديد منـــــذ ان اهتم ابن هشام بتهذيب سيرة ابن اسحاق لتصل الينا بالصورة التي ارتضاها لنفسه ، وارتضاها من بعده المهتمون بهذا العلم بحيث عدت المنهل والمرجع الذي منه يمتح المؤلفون في السيرة النبوية ، واذا كان تهذيب ابن هشام اول حلقات التطور الذي بدأ ببداية نقد النصوص فاننا نستطيع ان نقول بان سيرة ابن سيد الناس تعد قمة هذا التطور . وقد نهجت في دراسة هذه السيرة نهجا ابتدأته بحياة المؤلف وسبب التأليف ومنهجه ، والمصادر التي اعتمد عليها المؤلف وكان جزء من هذه الدراسة منصبا على متن السيرة مقرونة ببعض الامثلة وموثقة باهم المصادر التي وقفت عليها : وختمت الدراسة بالكلام عن القيمة العلمية لسيرة ابن سيد الناس.

١ــ ترجمة المؤلف :

هو محمد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن محمد الشافعي اليعمري الأندلسي ، يكنى : ابا الفتح ويعرف بابن سيد الناس (*) .

ولد في القاهرة في الرابع من ذى القعدة سنة ٦٧١هـ (١) ونشأ في بيت علم ورئاسة (٢)، فقد كان جده احمد (٣) يتمتع بسمعة علمية واسعة في بلاد المغرب مع اشتهاره بعلم الحديث، وكان والده (٤) من العلماء المعروفين في عصره ،رحل إلى المشرق ولقي علماء جله ، ودخل مصر ومعه امهات الكتب والمصنفات العلمية النادرة (٥).

(*) ترجمته في: الوافي بالوفيات: ١٩٦/١ ، تذكرة الحفاظ : ٣٣٣/٤، الدرر الكامنة: ٣٣١/٤ ، طبقات الشافعية للاسنوي : ٥١٠/٢، طبقات الشافعية للسبكي : ٢٩/٦، فوات الوفيات : ٣٤٤/٢، البداية والنهاية: ١٤ : ١٦٩ ،ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني: ١٦، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي : ٣٥٠، طبقات الحفاظ :٥١٩، مرآة الجنان: ٢٩١/٤، شذرات الذهب: ١٠٨/٨ .

(١) كذا في جميع المصادر، وفي فوات الوفيات ٣٤٩/٢ (سنة ٦٩١هـ)

(٢) الوافي بالوفيات : ١٩٦/١ .

(٣) توفي سنة ٦٥٩ هـ وكان مولده سنة ٥٥٧هـ. تذكرة الحفاظ : ١٤٥٠/٤ .

(٤) توفي سنة ٧٠٥هـ ومولده سنة ٦٤٥هـ. الدرر الكامنة: ٢٧٩/٤ .

(٥) الدرر الكامنة: ٣٣١/٤ .

ولابي الفتح ابن سيد الناس صاحب الكتاب اخوة اخذوا قسطا وافرا من العلوم والمعرفة ذكر المترجمون منهم: ابو سعيد (١)، وابو سعد (٢) وفي هذا الوسط العلمي بدأ ابن سيد الناس حياته العلمية، فأخذ عن والده معظم علومه وقرأ عليه وسمع منه الكثير من المؤلفات وفي فنون العلم المختلفة، فكان بحق اول معلميه واول اساتذته .

وفي سنة ٦٩٠هـ (٣)رحل ابن سيد الناس إلى دمشق فاخذ عن ابن عساكر، والصورى وابن المجاور واخرين غيرهم (٤) وعاد إلى مصر فلازم ابن دقيق العبد (٥) وتخرج عليه في اصول الفقه، والبهاء بن النحاس (٦) ودرس عليه علم النحو، وتردد على مجالس الشيوخ هناك كمجلس الفاروثي والدمياطي (٧) وبلغ الذين اخذ عنهم زهاء الف شيخ او يزيدون (٨).

وقد اثنى المترجمون على ابن سيد الناس، اثنواعليه عالما متخصصا في علم الحديث ورجاله، مع اطلاعه ومعرفته الواسعة بعلم البلاغة، وتمكنه من النظم والنثر (٩)، واثنوا عليه رجلا كسب مودة الخاصة من الحكام والامراء لمكانته العلمية التي عرف بها مع اخلاصه وصدقه، واحبه العامة من الرعية لطيب خلقه وحسن دعابته (١٠)

---

(١) اسمه محمد توفي سنة ٧٤٩هـ. الدرر الكامنه: ٣٣٥/٤

(٢) اسمه محمد توفي سنة ٧٢٨هـ ومولده سنة ٦٧٠ هـ. الدرر الكامنة : ٣٣٥/٤.

(٣) الوافي بالوفيات: ٢٩٠/١

(٤) الدرر الكامنة : ٣٣١/٤

(٥) احمد بن علي بن وهب ، من علماء عصره المشهورين مات سنة ٧٠٢ هـ. ومولده سنة ٦٢٥هـ الطالع السعيد: ٥٦٧.

(٦) محمد بن ابراهيم الحلبي مات سنة ٦٩٨هـ . بغية الوعاة : ١٣/١.

(٧) عبد المؤمن بن خلف شرف الدين مات سنة ٧٠٥هـ ومولوده سنة ٦١٣هـ. تذكرة الحفاظ ١٤٤٧/٤

(٨) الدرر الكامنة: ٣٣١/٤.

(٩) قال الاسنوي في طبقاته :«حافظ الديار المصرية، شيخ البلاغة والبراعة وصاحب النظم الرائق والنثر الفائق». وقال السيوطي في طبقات الحفاظ:« كان اماما في الحديث ناقداً في الفن معنيا بالرجال والعلل والاسانيد عالما بالصحيح والسقيم».

(١٠) الوافي بالوفيات: ٢٩٢/١.

ولي التدريس في اماكن كثيرة ذكروا منها: دار الحديث الظاهرية(١) وجامع الصالح (٢) والمهذبية (٣) الكائنة على بركة الفيل (٤) ومسجد الرصد (٥)، وتولى خطابة جامع الخندق (٦) وكان له راتب في مصر وراتب بصفد (٧).

اشتهرت لابن سيد الناس جملة مؤلفات منها: تأليفه في السيرة النبوية الذي سماه (عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير) ، وكتاب (النفح الشذى في شرح الترمذى) أكمله بعده الزين العراقي، (تحصيل الصحابة في تفضيل الصحابة)، (بشرى اللبيب بذكرى الحبيب) وهي منظومةفي مدح الرسول (ص)، و (منح المدح)، واختصر عيون الاثر في مجلد سماه: (نور العيون) وهو مايطلق عليه اسم: (السيرة الصغرى).

واما تلامذته فاشهرهم شمس الدين الذهبي ،والزين العراقي (٨) والصفدي وآخرين غيرهم.

توفي ابن سيد الناس بالقاهرة بمنزله الكائن في الظاهرية يوم السبت الحادي عشر / شعبان سنة ٧٣٤ هـ (٩).

٢ ــ اسباب التأليف :

بين ابن سيد الناس في مقدمته الغاية من تأليف هذا الكتاب على كثرة المؤلفين في السيرة النبوية من خلال نقده لتلك المؤلفات بقوله :

---

(١) ينظر: خطط المقريزي: ٢/٣٧٨

(٢) ينظر: خطط المقريزي: ٢/٢٩٣

(٣) ينظر: خطط المقريزي: ٢/٣٦٩، ٣٩٧

(٤) ينظر خطط المقريزي : ٢/١٦١

(٥) ينظر: خطط المقريزي : ٢/٤٤٥

(٦) ينظر: فطط المقريزي: ٣٢٥

)٧) الدرر الكامنة: ٤/٣٣٥

(٨) عبد الرحيم بن الحسين مات سنة ٨٠٦هـ. ابناء الغرم: ٢/٢٧٥

(٩) الوافي بالوفيات: ١/٣٠٠، طبقات الاسنوي: ٢/٥١١

« فلما وقفت على ماجمعه الناس قديما وحديثا من المجاميع في سير النبي (ص) ومغازيه وايامه الى غير ذلك مما يتصل به ، لم ار الا مطيلا مملا او مقصراً باكثر المقاصد مخلا » (١) ، فالمؤلفات في السيرة حسب النص الانف الذكر تتحدد في نمطين من التأليف ، فاما ان يكون المؤلف مطيلا مملا ، والمطيل حسب رأى ابن سيد الناس« اما معتن الاسماء والانساب والاشعار والاداب ، او اخر يأخذ كل مأخذ فيجمع الطرق والروايات ويصرف الى ذلك ما تصل اليه القدرة من العنايات » (٢).

واما ان يكون مقصرا ، والمقصر عنده « لايعدو المنهج الواحد» (٣).

واذا كانت هذه دواعي تأليفه في السيرة النبوية كما قررها من خلال مقدمته : فاننا نستطيع ان نضيف سببا اخر نابعا من مجال اهتمامه واختصاصه بعلم الحديث والتأليف فيه حتى وصف به ، ولما كان علم الحديث يعنى باقوال الرسول (ص) وسنته فإن ذلك يقود بالتالي الى معرفة حياته ، وهو اهتمام طبيعي لدى المحدثين لاينقصه الا الاهتمام بترجمة ذلك حسب منهج مختار ليوضع بعد ذلك ضمن مؤلفات كتب السيرة النبوية ، وهكذا فعل ابن سيد الناس العالم والاستاذ في علم الحديث فنقل اهتمامه بالسيرة من مجال العمل الى ميدان العلم بعد ان شعر بان التأليف في علم السيرة النبوية حاجة مازالت قائمة.

فاقوال الرسول (ص) واعماله لها اهمية كبرى ابان حياته واهمية اكبر بعد وفاته (٤) «وقد اوجبت هذه الاهمية العناية الشاملة بتدوين تفاصيل حياته بجمع الاحاديث والاخبار عنه. ولم يكن الدافع لهذه العناية والاهتمام التقوى فحسب ، ولكن حاجة المجتمع الاسلامي وتثبيت القواعد الدينية والاحكام التشريعية هي الحافز الاساسي لها» (٥) .

---

(١) عيون الاثر : ١/٥

(٢) عيون الاثر : ١/٥

(٣) عيون الاثر : ١/٥

(٤) مغازى الواقدي : ١٩ «مقدمة مارسدن جونس».

(٥) نفسه : ٢٠

٣ ـ منهجه :

واذا كان ابن سيد الناس قد انتقد السابقين، او بالاحرى فريقاً ممن عرض للتأليف في السيرة النبوية، فلا بد والحال هذه من ان يختار طريقاً وسطا بين الاثنين ، يتجنب الاطالة من ناحية ، ويتجنب الاختصار المخل من ناحية اخرى، وان يجعل كتابه متميزاً وجامعاً للسيرة النبوية، واذا كان هذا الاختيار مبنيا على اساس الضرورة المكتسبة من نقد المؤلفات السابقة له، فان ذلك ايضا لايتأتى الا لمن عرف مواطن الخلل ،في كلا المنهجين والحدود الفاصلة بينهما وفي ضوء هذه الاعتبارات قامت سيرة ابن سيد الناس لتشتمل على قسمين رئيسين وملحق تناولت جميع مايتعلق بحياة الرسول (ص) من عام ولادته حتى وفاته.

القسم الاول: تضمن نسب الرسول (ص) ومولده، ورضاعته، وفصاله، واقامته في بني سعد، وما عرف له هنالك من قصة شق الصدر وغيره، ومنشئه وكفالة جده عبد المطلب اياه الى ان مات، وانتقاله الى كفالة عمه ابي طالب بعد ذلك، وسفره الى الشام ورجوعه منه، وما وقع له في ذلك السفر من اظلال الغمامة اياه ، واخبار الكهان والرهبان عن نبوته وتزويجه خديجه عليها السلام، ومبدأ البعث والنبوة ، ونزول الوحي وذكر قوم من السابقين الاولين في الدخول في الاسلام وما كان من الهجرتين الى ارض الحبشة، وانشقاق القمر ، وما عرض له بمكة من الحصار بالشعب وامر الصحيفة، وخروجه الى الطائف، ورجوعه بعد ذلك الى مكة ، وذكر العقبة وبدأ اسلام الانصار والاسراء والمعراج، وفرض الصلاة ، واخبار الهجرة الى المدينة ودخوله عليه السلام المدينة، ونزوله حيث نزل، وبناء المسجد، واتخاذ المنبر، وحنين الجذع ، ومغازيه، وسيره، وبعوثه ، وما نزل من الوحي في ذلك، وعمره، وكتبه الى الملوك، واسلام الوفود وحجة الوداع ، ووفاته (ص) وغير ذلك (١).

(١) عيون الاثر: ٦/١

وشمل هذا القسم الجزء الاول من عيون الاثر بأكمله ومعظم الجزء الثاني من (ص ٢ — ٢٨٣) واتبعه الملحقين، الاول الذي لخص فيه جميع الحوادث المهمة والخاصة بهذا القسم وجعل له فصلا خاصا تحت عنوان: (ذكر الحوادث جملة بعد قدوم رسول الله (ص) المدينة » مبتدئا بالسنة الاولى للهجرة، ومنتهيا بنهاية السنة العاشرة للهجرة (١).

واما الملحق الثاني فكان تحت عنوان: «ذكر نبذة من معجزاته عليه السلام»(٢) خصه لجمع معجزات الرسول (ص) بعد ان اوردها مفرقة في اماكن عدة.

واما القسم الثاني، فقد تضمن ذكر اولاده (ص) واعمامه وعماته وازواجه وشمائله وعبيده واماته ومواليه وخيله وسلاحه، وما يتصل بذلك معتمدا على ماذكره العلماء في ذلك ، ومختصراً في اكثر من موضع ومرتبا معلوماته بما يقتضيه التاريخ وسياقه من ايراد واقعة بعد اخرى لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء الى شكله ومثله، ما عدا ذكر ازواجه واولاده فانه الحقهم بباب المغازى والسير من باب الحلى والشمائل ، باستثناء ذكر زواجه من خديجة، لما وقع في امرها من اعلام النبوة، وشمل هذا القسم الصفحات (٢٨٨ — ٣٤٢) من متن الجزء الثاني من السيرة.

واذا كان هذا هيكل منهجه العام فان ثمة اشياء لاحقة لما ذكرنا التزم بها المؤلف وعدت من صميم منهجه تتلخص في اصول ثلاثة افصح عنها بقوله: « وقد اتحفت الناظر في هذا الكتاب ، من طرف الاشعار بما يقف الاختيار عنده ومن نتف الانساب بما لايعدو التعريف حده، ومن عوالي الاسانيد (٣) بما يستعذب الناهل ورده » (٤) .

واساس طريقته تقديم الخبر المسند ترجيحا لمحل الاسناد ولكنه لم يهمل الخبر المرسل ان وجد فيه زيادة حيث كان يلحقه بعد الخبر المسند وهكذا شأنه في جميع سيرته .

---

(١) عيون الاثر: ٢/٢٨٣ — ٢٨٥

(٢) عيون الاثر: ٢/٢٨٦ — ٢٨٨

(٣) معرفة علوم الحديث: ٥ وما بعدها، ايضاً: علوم الحديث «صبحي الصالح» ٢٣٦

(٤) عيون الاثر: ٢/٧

٤ ـ مصادره :

تقع المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في مجاميع ثلاثة :

أ ـ مؤلفات في السيرة النبوية.

ب ـ كتب حديثية.

جـ ـ كتب التواريخ العامة والانساب ومايشابه ذلك.

وطبيعي ان يكون شيوخه مصدر معظم علومه ، ومصادره في هذا الكتاب وغيره من المؤلفات الاخرى ، وان دور هؤلاء الشيوخ تحدد في تحديثهم اياه وبالصيغ المختلفة في تلقي العلم ، في نوعين من المعلومات احداها ان تكون المعلومات مدونة بشكل كتاب قائم بذاته ، وبذا اكتفى ابن سيد الناس بالحاق السند الذي يربطه ومؤلف الكتاب عن طريق شيوخه عقب كل كتاب من هذه الكتب (١) والاخر : ان تكون معلوماته مستقاة مباشرة من أفواه شيوخه عن طريق السماع او القراءة ، وهي لاتعدو في مواضيعها الاحاديث النبوية او الاخبار المشهورة والمتداولة عند المحدثين او المهتمين بالسيرة النبوية كما سيأتي توضيح ذلك.

وابن سيد الناس من الافراد القلائل الذين تعرضوا لمصادرهم الاولية (الاصلية) بالنقد والتحليل ،وأعني بالمصادر الاولية هنا المؤلفات التي وصفها بقوله: (وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن اسحاق اذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا ... وكثيراً ما أنقل عن الواقدى من طريق محمد بن سعد وغيره اخبارا ،ولعل كثيرا منها لا يوجد عند غيره فالى محمد بن عمر انتهى علم ذلك ايضا في زمانه ...) (٢) وهذان المؤلفان ـ ابن اسحاق والواقدى ـ كانا موضع اهتمام زائد من المؤلف دون غيرهما من المؤلفين الاخرين والسبب هو كثرة ما تعرض اليه ابن اسحاق والواقدى من النقد والتجريح من ناحية ،واعتماد ابن سيد الناس الاصيل عليهما في كثير من الموضوعات.

---

(١) عيون الاثر: ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٧

(٢) عيون الاثر: ١/٧

فالنقد الذى تعرض له ابن اسحاق والواقدى كان مدار مناقشة من قبل ابن سيد الناس الذى اتخذ من طريقة المحدثين اسلوبا للتقويم فقدسرد اقوال العلماء فيهما مبتدئا بابن اسحاق (١)، ثم عمد الى الاجابة عن تلك الاقوال مستعينا باقوال المحدثين والمؤرخين واصحاب المعرفة تارة ؛ وملتزما الاجتهاد من خلال ترجيح بعض الاقوال على غيرها تارة اخرى، ومن خلال الموازنة بين الاراء المختلفة خلص ابن سيد الناس الى ترجيح ميزان التعديل على ميزان التجريح اللهم الا في جوانب جزئية لا تحطط من قدر الرجلين ولا تنقص من قيمة مؤلفاتهما ومروياتهما وهذا ماكان يهدف اليه ابن سيد الناس منذ البداية تحصينا للاخبار والمرويات المستقاة عن طريقهما .

ومصادره حسب اهميتها تندرج على الوجه الآتي :

أ ـ مؤلفات في السيرة النبوية .

١ ـ سيرة ابن اسحاق المتوفى ١٥٢هـ بتهذيب ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ

تعتبر سيرة ابن اسحاق بتهذيب ابن هشام العمود الفقرى لسيرة ابن سيد الناس فقد نقل عنها مائة واربعة عشر موضوعا ،اربع وستون موضوعا منها في الجزء الاول من الكتاب (٢) وخمسون موضوعا في الجزء الثاني منه(٣)، واذا اشرت الى المواضيع دون النصوص اكثر من ذلك بكثير ،ووقع النقل عنه حرفياوقد كان المؤلف يختار من النصوص في الموضوع الواحد ويهمل اخرى ،اضافة الى ذلك فسيرة ابن اسحاق مقدمة في اغلب المواضيع على بقية المصادر التي اعتمدها باستثناء مواضيع محددة وقليلة سنشير اليها .

---

(١) عيون الاثر : ١/٨ و١٧

(٢)ينظر مثلا : ١/٢٥، ٣٠، ٣٧، ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٨٣، ٩٠، ٩٨، ١٠٤، ١١٢، ١١٩، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦، ١٥٥، ١٥٩، ١٦١، ١٧٢، ١٧٧، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٨ ، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٤.

(٣) ينظر مثلا: ٢/٢، ٢٥، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٦٨، ٨١، ٨٣، ٩١، ٩٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ١٢٧ ، ١٣٠، ١٣٩ ، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٢، ١٨٥، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٧ ، ٢٦٤.

٢ ـ كتاب الطبقات الكبير، لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ

قال ابن سيد الناس :«وكثيرا ما انقل عن الواقدى من طريق محمدبن سعد وغيره اخبارا ولعل كثيرا منها لا يوجد عند غيره ...» (١) وجاءت نقوله عن هذا الكتاب بصيغتين ، صيغة النقل عن الواقدى بسنده عن شيوخه ،ويبدأ بقوله :

«قال الواقدي....» (٢) وصيغة النقل عن ابن سعد والتي يبدأها بقوله: «قال ابن سعد ....» (٣) فان بدأ بالواقدي فذلك مايشير اليه ويوضحه القول السابق، وإن بدأ بابن سعد فانه يعني اسناده (اسناد ابن سعد) عن شيوخه الاخرين دون الواقدي.

٣ ـ الروض الانف والشرع الروى، للسهلي المتوفى سنة ٥٨١هـ

الروض الانف شرح من شروح سيرة ابن هشام، ولذا فله خصوصية تميز بها من دون المصادر الاخرى، فقد عني السهيلي بايضاح ماوقع في سيرة ابن اسحاق بتهذيب ابن هشام «من لفظ غريب او اعراب غامض او كلام مستغلق، او نسب عويص، او موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، او خبر ناقص يوجد السبيل الى تتمته» (٤).

وابن سيد الناس اقتبس حرفيا كثيرا من النصوص المتعلقة بشرح غريب القول او توضيح ما قد ابهم في بعض الاخبار (٥)، وليس هذا فحسب فهذا

---

(١) عيون الاثر: ١/٧

(٢) ينظر مثلا: ١/٤٠، ٤٥، ٥٨، ١١٢، ١٢١، ١٣٠، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٧١، وينظر: ٢/٤٦، ١٠٦، ١٠٩، ١٢٥، ١٤٣، ١٨٥، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٩٣، ٢٩٦.

(٣) ينظر مثلا: ١/٣٠، ٣٨٢، ٤٥، ٤٩ ، ١٣٤، ١٤٦، ٢٢٣، ٢٣٠، ٣٣٢، ٢٩٣ ٢٩٧، ٣٠٥، وينظر: ٢/٢، ٣٨/، ٤٠، ٤٨، ٥١، ٦٨، ٧٩، ٨٣، ٩١، ١٠٦، ١٠٨، ١٢١، و١٤٣، ٤٩٢، ١٥٠، ١٥٧، ١٨٤.

(٤) الروض الانف: ١/٣ و٤

(٥) ينظرمثلا: ١/٣٥، ٤٢، ٤٦، ٦٥، ١٢١، ١٣٣، ١٧١، وينظر: ٢/٢٥، ٣٦، ٧٦، ٨٣، ٨٨، ١٢٤، ١٢٧ ، ١٥٧، ١٨٣ ، ٢١٣، ٢٣٦.

الكتاب يعتبر مصدرا اوليا لمعظم الاخبار الواردة في الفصول التي تحمل عنوان (الفوائد) والتي تعقب المواضيع المهمة في السيرة النبوية.

٤ـ كتاب المغازى، لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١هـ

من المؤلفات المفقودة (١)، اعتمده ابن سيد الناس في عدة اماكن من سيرته (٢).

٥ ـ كتاب المغازى، لابن عائذ القرشي المتوفى سنة ٢٣٣هـ.

وهو من المؤلفات التي لم تصل الينا، افاد منه ابن سيد الناس في عدة مواضع (٣).

٦ ـ كتاب الدرر في اختصار المغازى والسير لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٥٦هـ

نقل عنه في مواضع (٤).

٧ـ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

برغم شهرة هذا الكتاب وسعة انتشاره في ارجاء الوطن العربي فان ابن سيد الناس لم ينل منه بما يوازي قيمته وشهرته، واكتفى بالاشارة اليه في مواضيع قليلة لاتتعدى الثلاثة او الاربعة (٥).

---

(١) هناك قطعة من نص منه هذبه يوسف بن محمد بن قاضي شهبه المتوفى سنة ٧٨٩ هـ موجودة في برلين تحت رقم ١٥٥٤ (الاوراق ٧٤–٧٧) وقد حقق ماهو هذه القطعة ومترجمها الى الالمانية، ينظر: سركين: ١/٤٥٨، حسين نصار: التدوين التاريخي: ٦٦.

(٢) ينظر ١/٥١، ١٣٤، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٩، ٣٠١، وينظر ٢/٣٩، ٨١، ٨٨، ٩١ ١٠٥، ١١٣، ١٢١، ١٢٨، ١٥٥.

(٣) ينظر: ٢/٤٦، ٧٩، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٦، ١٦٤، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣١ ٢٧١، ٢٨٨.

(٤) ينظر: ١/٤٧، ٥٥، ٦٤، ٢١٠، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٧٣، ٢٩٢، وينظر: ٢/٤٦، ٢٩٩، ٣١٠.

(٥) ينظر: ١/٥٦، ٩٨، ١١٤.

ب ـ كتب الحديث.

مصادره الحديثية قسمان: ـ كتب حديثية معروفة ومشهورة، واخرى تقع في عداد المجاميع والمرويات والفوائد المتعلقة بعلم الحديث، وعلى رأس القائمة الأولى تقع المؤلفات الاتية: ـ

١ ـ صحيح الامام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ

٢ ـ صحيح الامام مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١هـ

٣ ـ سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد المتوفى سنة ٢٧٣هـ

٤ ـ سنن أبي دارد المتوفى سنة ٢٧٥هـ

٥ ـ سنن النسائي، احمد بن شعيب المتوفى سنة ٣٠٣هـ

٦ ـ الجامع، للترمذى، محمد بن عيس المتوفى سنة ٣٧٩هـ

ومما لاشك فيه ان هذه الكتب هي كتب الامة في السنة النبوية، ثم هي كتب لابد من دراستها وتدريسها، وما من عالم او طالب الاوله نصيب من هذه المؤلفات، وقد افاد ابن سيد الناس من مجموع هذه المؤلفات، فائدة تتراوح ومقدار قيمة وشهرة الكتاب والمؤلف، وان كانت هذه الفائدة تتحدد في رواية بعض الاحاديث النبوية، او الاخبار التي يتناقلها معظم مؤلفي كتب السيرة.

وفي القسم الثاني نجد المؤلفات الاتية: ـ

٧ ـ مارواه عن ابي يعلي الموصلي، احمد بن علي المتوفى سنة ٣٠٧هـ (١).

٨ ـ مارواه عن ابن ابي بشر الدولابي، محمد بن احمد المتوفى سنة ٣١٠ هـ(٢).

٩ ـ مارواه عن ابي عروبة الحسين بن ابي معشر الحراني المتوفى سنة ٣١٨هـ.

---

(١) من اثارة (المسند) مخطوط.

(٢) عن اثارة ينظر: سزكين: ١/٢٧٤.

١٠ ــ الفوائد المعروفة بالغيلانيات (١) ، لابي بكر محمد بن عبدالله المتوفى سنة ٣٥٤هـ.

١١ ــ ماورواه عن الطبراني، سليمان بن احمد المتوفى سنة ٣٦٠هـ.

١٢ ــ معجم (٢) ابي الحسين بن جميع الغساني، محمد بن احمد المتوفى سنة ٤٠٢هـ.

جـ ــ واما كتب التواريخ والانساب ومايتعلق بها، فابن سيد الناس لم يذكرها ضمن قائمة مصادره كما فعل مع المصادر المذكورة انفاً، ولم يروها كما روى المؤلفات السابقة ولعل السبب يعود إلى ان مثل هذه المؤلفات ليس لها مكان رسمي في الحلقات العامة للدرس، ولايحتاج الطالب معها إلى تقرير شيخ من الشيوخ، لذا كانت طريقة تحمل معظم هذه المؤلفات يتم بالاجازة العلمية في اغلب الاحيان ، اضافة إلى انها تعد من الكتب المساعدة والثانوية بالنسبة لمؤلفي السيرة النبوية قياسا على المصادر السابقة، وقد ورد ضمن سياق السيرة اشارات إلى نصوص منقولة من كتاب فتوح البلدان (٣)، للبلاذري ، ومن تاريخ الطبري (٤) ، واشارات اخرى عن مؤلفات الخشني (٥) وابن حزم (٦) والكلاعي صاحب كتاب الاكتفاء (٧) ، عن الرشاطي في كتابه الخاص بالانساب (٨)، وعن عبد المؤمن الدمياطي في رسالته الخاصة بنسب الاوس (٩).

---

(١)الغيلانيات: فوائد منتخبة من عوالي الاحاديث رواها عنه ابو طالب محمد بن غيلان المتوفى سنة ٤٤٠هـ.

(٢)وهو معجم شيوخ ابن جميع خرج عن كل شيخ حديثا. وله المعجم الكبير والوسيط والصغير وهي مخطوط .

(٣) ينظر: ١/١٩٥، ٢/١٤٠، ١٤٣

(٤) ينظر: ٢/٧٦، ١٠٠

(٥) ينظر: ١/١٩٩، ٢/٢١٣.

(٦) ينظر: ٢/٢٧٢

(٧) ينظر: ٢/٢٤٩

(٨) ينظر: ٢/٢٧٥

(٩) ينظر: ٢/٦٧

٥ــ ملاحظات عامة في متن السيرة :

لكي نقف على مدى باع ابن سيد الناس في عرض ماتوفر له من معلومات، وكيف استطاع ان يوفق بين الروايات المختلفة ،ويميز بين الغث من الاخبار والسمين منها، لابد من الاستئثار بجملة ملاحظات شاملة لعموم متن السيرة مقرونة ببعض الامثلة المنتقاة من شبيه الخبر او الحادث ومثله واهمال مادون ذلك.

١ ــ أول مانلاحظه أن ابن سيد الناس اعتمد على شيوخه في رواية جانب واحد من المعلومات، وهذه المعلومات لاتتعدى رواية المشهور من الاحاديث النبوية، او المشهور من الاخبار نراها تتكرر دائما في جميع المؤلفات المهتمة بهذا الفن من التأليف وعلى سبيل المثال فقد روى بسنده أن الرسول «ص» قال: «ان الله اختار العرب على الناس، واختارني على من انا منه، ثم انا محمدبن عبدالله حتى بلغ النضر بن كنانة، ثم قال، فمن قال غير هذا فقد كذب» (١). وروى حديث مولد الرسول (ص) وحديث : « ماهممت بقبيح مما يهم به اهل الجاهلية الامرتين من الدهر كلتا هما عصمني الله عز وجل منها ....»(٢) وحديث البعثة ، وحديث الاسراء ، وحديث الغار (٣) إلى غير ذلك من الاحاديث التي تقع في باب المشهور والمعروف لدى عامة اهل الحديث وغيرهم (٤).

---

(١) عيون الاثر: ٢٢/١، سيرة ابن اسحاق: ١/١، وينظر: التنبيه والاشراف ١٩٥، زاد المعاد : ١٥/١، البخاري: ٥٦/٤، سيرة ابن كثير: ١٨٣/١ تاريخ الطبري: ٢٣٩/٢، المعارف : ١١٧ .

(٢) عيون الاثر: ٤٤/١، الطبري: ٢٧٩/٢، ابن كثير: ٢٥٢/١ .

(٣)عيون الاثر: ٨٠/١، ١٤٠، ١٨٢، وينظر: ابن اسحاق : ١٥٣/١، ٢ ٢٦٨، ٣٣٥ البخارى: ٦٦/٥، الطبري: ٢٩٠/٢، تاريخ اليعقوبي: ٢٢/٢، ٢٦، زاد المعاد: ١٨/١، الروض الانف: ١٤٨/٢، ٢٣١.

(٤) ينظر مثلا: ٢٦/١، ١٣٦، ١٥٢، ١٨١، ٢/٢ من عيون الاثر.

ومن الاخبار المتواترة روى اخبار قس بن ساعدة الايادي (١) ، وخبر سواد ابن قارب وتكهنه في الجاهلية (٢)، وايذاء ابي جهل للرسول (ص) (٣) ثم خبر اسلام عمر بن الخطاب (٤) وغيرها.

٢ ــ استوعب ابن سيد الناس مصادره استيعابا يدل على معرفة تامة بقيمة كل مصدر من هذه المصادر، ووفق إلى حد كبير في استخدامها واستخلاص المعلومات والاخبار من الكتب المتخصصة، وألحق هذه المعلومات والاخبار بتعقيبات منافية لشرح غريب الالفاظ أو توضيح جملة مبهمة، او التعريف بدلالة بعض أسماء الرجال والاماكن ومثل هذه التعقيبات كانت ملحقة آخر كل موضوع من المواضيع، او ضمن فصل خاص سماه «ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل ...» فبالنسبة لشرح الالفاظ، قال نقلا عن الرشاطي: «العرن حكة تصيب الفرس والبعير في قوائمها »(٥) وعن ابن دريد : «عكل الشيء اذا جمعته» وقيل «عكل يعكل قال برأيه مثل حدس، ورجل عكلي اي احمق» (٦) .

وقد ساق المؤلف هذه التوضيحات اثناء تعرضه لسرية سعيد بن مزيد إلى العرنيين في سنة ٦هـ، واضاف بانهم حي من بجيلة وينسبون إلى عرينة بن نذير بن قسر، واما عكل: فهي امراة حضنت بني عوف بن وائل بن قيس(٧)

وتعرض ابن سيد الناس إلى ضبط ألفاظ الاماكن والبقاع مع التعريف

---

(١) عيون الاثر: ٦٨/١

(٢)عيون الاثر: ٧٢/١، ابن اسحاق: ١٣٦/١، ابن كثير: ٣٤٢/١، تاريخ الطبري: ٩٦/٢

(٣)عيون الاثر: ١٠٢/١، البخاري: ٥٦/٤ ، ابن اسحاق: ١٩٤/١، الطبري: ٤٧٢/٢ وابن كثير: ٤٦١/١ .

(٤) عيون الاثر: ١٢٢/١، ابن اسحاق : ٢٨٨/١. الروض الانف: ٩٨/٢.

(٥) عيون الاثر: ٩٠/٢، وينظر: معجم مقايس اللغة: ٣٣/٤.

(٦) عيون الاثر: ٩٠/٢، وينظر المعجم : ٩٩/٤

(٧) عيون الاثر: ٩٠/٢، البخارى: ١٦٤/٥

الذي يفي بالمقصد، ،وان كان همه التركيز على الاماكن التي ارتبط تاريخها بحوادث السيرة النبوية كقباء، والمدينة، والحديبية، ومؤتة، وحنين (١). ومثل ماعرف بالاماكن والبقاع فقد عرف بعض الشخصيات الواردة ضمن سياق الحوادث التاريخية كتعريفه بالبراء بن معرور (٢).

وام معبد (٣)، وحبان بن العرقة (٤) ، والاقرع بن حابس (٥) وغيرهم.

٣ ــ تحرى ابن سيد الناس الحقيقة التاريخية من خلال النصوص المنقولة عن مصادره المختلفة في الحدث او الموضوع الواحد عن طريق الموازنة بين دقة الخبر وسلامة السند، ومن ثم فله رأى يلحقه آخر كل موضوع، والامثلة على ذلك كثيرة اخترنا منها مثالين فقط: الاول : في ذكر الهجرة إلى ارض الحبشة، والاسباب التي دعت بالمهاجرين الاولين الى العودة، فقد سرد ابن سيد الناس الخبر كاملا ثم تتبع اقوال مؤرخي السيرة في ذلك ثم عمد الى اقوال شيوخه وآرائهم واستخلص رأيا خاصا جعله خاتمة المبحث، فاما الخبر فنصه : «وكان سبب رجوع الاولين الاثني عشر رجلا من ذكر معهم من النساء فيما روى ان الرسول (ص) قرأ يوما على المشركين «والنجم اذا هوى» (٦). حتى بلغ «افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى» (٧) القى الشيطان كلمتين على لسانه «تلك الغرانيق العلى وان

---

(١) عيون الاثر: ١/١٨٠، ٢/١٢٤، ٢/١٥٣ ،و ١٥٦ و ٢/١٩٩.

(٢) عيون الاثر: ١/١٧١.

(٣)قال ابن سيد الناس: «ام معبد: عاتكة بنت خالد احدى بني كعب من خزاعة وهي اخت حبيش ابن خالد... وكان منزلها بقديد» ننظر ١/١٩١.

(٤)قال ابن سيد الناس: «حبان بن العرقة: هو حبان بن عبد مناف بن منقذ بن عمر والعرقة امه هي: قلابة بنت سعيد بن سعد ... سميت العرقة لطيب ريحها كذا ذكر السهيلي...» ينظر ٢/٧٧

(٥)قال ابن سيد الناس: «الاقرع بن حابس لقب واسمه فراس وكان في رأسه قرع فلقب بذلك ذكر ذلك ابن دريد» ينظر: ٢/٢٠٥.

(٦) النجم اية: ١

(٧) النجم: اية ١٩

شفاعتهن لترجى» فتكلم رسول الله (ص) بهما ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد وسجد القوم جميعا ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لايقدر على السجود، ويقال ان ابا اميمة سعيد ابن العاص اخذ ترابا فسجد عليه، ويقال كلاهما فعل ذلك فرضوا بما تكلم به رسول الله (ص)، وقالوا: قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لها نصيبا فنحن معك، فكبر ذلك على رسول الله (ص) من قولهم حتى جلس في البيت فلما أمسى أتاه جبريل فعرض عليه السورة فقال جبريل ما جئتك بهاتين الكلمتين .... قالوا: فغشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت ارض الحبشة .... فخرجوا راجعين حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبانا من كنانة فسألوهم عن قريش فقال الركب، ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملائكة، ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر ....» (١) .

فاما اقوال مؤرخي السيرة، فقد قال الواقدي: خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شهرى شعبان ورمضان وكانت السجدة في رمضان فقدموا في شوال من نفس السنة. وقال السهيلي، ذكر خبر السجدة موسى بن عقبة وابن اسحاق، وأهل الاصول يرفعون هذا الحديث بالحجة ومن صححه قال فيه اقوالا عديدة منها: «ان الشيطان قال ذلك واشاعه والرسول لم ينطق به، وهذا جيد لولا ان في حديثهم ان جبريل قال لمحمد ما اتيتك بهذا، ومنها ان النبي (ص) قالها من قبل نفسه وعني بها الملائكة ... ومنها ان النبى (ص) قالها حاكيا عن الكفرة وانهم يقولون ذلك فقالها متعجبا من كفرهم» قال السهيلي والحديث غير مقطوع بصحته.

اما آراء شيوخه، فقد تحدد برأى رواه عن شيخه عبد العظيم المنذرى والذي كان يرد هذا الحديث من جهة الرواة، وان شيخه الدمياطي كان يخالفه الرأى (٢). قال ابن سيد الناس: «انه جار مجرى ما يذكر من اخبار

---

(١) عيون الاثر : ١/١٢٠و ١٢١، ايضا : مغازى رسول الله، لعروة بن الزبير : ١٠٦ ،
(٢) عيون الاثر : ١/١٢١

هذا الباب من المغازى والسير، والذي ذهب اليه كثير من اهل العلم الترخص في الرقائق ومالاحكم فيه من اخبار المغازى وما يجرى مجرى ذلك وانه يقبل فيها من لايقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها، واما هذا الخبر فينبغي بهذا الاعتبار ان يرد الى مايتعلق به الا أن يثبت بسند لا مطعن فيه بوجه ولا سبيل الى ذلك فيرجع الى تأويله» (١).

ورأيه من خلال النص الانف الذكر مبني على اساس النظر دون التطبيق اذ وجه معظم المحدثين جهودهم لنقد الاخبار الدينية الشرعية التي تتضمن حلالاً او حراما ولم يهتموا كثيراً بالاخبار التي تدخل في عداد الامتاع والتسلية وتزجية الفراغ (٢). وقد انكر هذا الخبر غير واحد من الائمة(٣) والباحثيـــن (٤) .

ومثل ما عرض موضوع عودة المهاجرين، تعرض لموضوع تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة، فذكر اقوال ابن اسحاق والواقدى وابن سعد وموسى بن عقبة وابن عبدالبر ، وروى احاديث عديدة عن البخارى وعن شيوخه ، واذا كان دوره يعد بعد هذا محدوداً امام هذه المرويات ، فانه عمد الى حديث من الاحاديث، وحقق فيه شخصية رجل أبهمه الراوى ومن هنا وجد له مكانا للمساهمة بين هـذه الروايـات (٥).

واستطاع ابن سيد الناس ان يفاضل بين الروايات من خلال السند، فمثلا يعتمد الواقدى في مكان دون اخر ويقدمه على بقية الرواة كما في المثال التالي : «كتاب رسول الله (ص) الى المنذربن ساوى العبدى مع العلاء الحضرمي ...ذكر الواقدى باسناد له عن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب

---

(١) عيون الاثر : ١٢١/١
مهيع النقد التأريخي : ١٩٥
(٣) ينظر : السيرة الحلبية : ٩٢٨/١ فقد سرد المؤلف جملة الاراء الخاصة بهذا الحديث .
(٤) ينظر مثلا : ما ذكره الدكتور محمد مصطفى الاعظمي – محقق كتاب (مغازي رسول الله لعروة) في الهامش رقم ٢ من الصفحات ١٠٦ – ١٠٨ .
(٥) عيون الاثر : ٢٣٨/١، وينظر : البخارى : ١٦/١، اخبار مكة : ١٩/٢

في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله (ص) ، العلاء بن الحضرمي الى المنذر .....»(١). فالفاعل الاصيل في تقديم رواية الواقدى كما يبدو هو سند الرواية مع وجود الاثبات المادى «وجدت هذا في كتب ابن عباس ....» . وقد يفاضل بين الروايات في الخبر الواحد معتمداً على دقة وتفصيل الرواية كما هو الحال في ذكر الخبر عن ابي صبر وابي جندل حيث بدأ بذكر رواية ابن اسحاق ثم انتقل إلى رواية ابن عقبة ويبدو من خلال السياق ان الضرورة قد دعته إلى اعتمادها فهي اكثر تفصيلا ومن ثم فهي تختلف بشأن اسم الرجل الذي بعثته قريش في طلب ابي الصير (٢).

٤ ــ التزم ابن سيد الناس طريقا وسطا فيما يخص انساب الرجال وحاول قدر الامكان تجنب التكرار وغايته من ذلك التعريف بالرجال بحسب مايقتضيه الحال فقد يستوعب نسب الرجل ويصل إلى فخذه او بطنه المشهور او ابعد من ذلك من شعبه او قبيله .

٥ ــ استشهد ابن سيد الناس بالابيات الشعرية وبما يناسب الموضوع او الخبر ولاتتعدى هذه الابيات في الغالب الاربعة او الستة فيما عدا الشعر المقول في معركة بدر (٣)، وقصيدة البردة، (٤) والتي كما يبدو نقلت بتمامهما .

٦ ــ استعمل المؤلف صيغ اهل الحديث في تحمل العلم كقوله حدثني، وسمعت، ووجدت بخط ....واذا كانت الصيغتان الاوليتان تدل على القراءة او السماع من افواه الشيوخ فان الصيغة الثالثة تعني الوجادة (٥). وهي اضعف صور التحمل وان قصر ابن سيد الناس ذلك على ماوجده بخط والده او وجده فقط دون غيرهما من العلماء.

---

(١) عيون الاثر : ٢٦٦/٢، وينظر : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ١١٣، ١١٩.
(٤) عيون الاثر : ١٢٧/٢
(٣) عيون الاثر : ٢٨٨/١
(٤) عيون الاثر : ٢٠٨/٢
(٥) الالماع : ١١٦، مقدمة ابن الصلاح : ٦٩

٦ ـ القيمة العلمية لسيرة ابن سيد الناس:

اذا قصدنا بيان اهمية هذه السيرة ومكانتها بين المؤلفات الخاصة بهذا العلم فلابد من مناقشة عدة جوانب منها مايتعلق بالمنهج ، ومنها مايتعلق بالمصادر فضلا عما تميزت به سيرته عن بقية السير التي أُلفت في عصره او بعده بقليل وسأكتفي بنقاط مركزية أشير اليها تجنبا للتكرار .

فأما المنهج فالصيغة التي تغلب على ابن سيد الناس كونه من أعلام المحدثين العارفين بطرق الرواية ومنهجه مكتسب من صفته هذه لذا اعتمد السند كأساس لرواية الاخبار وقدمه على غيره وان كان مقصوراً او منقوصا وتبعه بالخبر المرسل وان كان اكثر استيفاء وفائدة وعده في درجة ادنى من سابقه وعندما يميز ابن سيد الناس بين درجات الاسانيد فانه يميز ذلك من خلال نقد تلك الاسانيد وتحليل المتن الذي هو غاية الاسناد ، وبذا جمع بين علمي الرواية والدراية وفاضل بين الاسانيد واختار اوثقها وربط بين الاسناد والخبر ربطا وثيقا ومال إلى الرأي والاجتهاد في نواحي اعتقد انها تحتاج إلى الاجتهاد، وعلى هذه الاسس قامت سيرته محكومة بمنهج رصين لايحتمل الاضطراب.

واذا عدنا إلى مصادره فان المؤلف استوعب اغلب المصادر المهمة الباحثة في سيرة الرسول (ص) واضاف اليها اشهر مصادر الحديث المتداولة لدى الامة وليس في ذلك ميزة وانما ضرورة وعاها ابن سيد الناس وغيره ممن سبقوه في هذا المضمار واضاف اليها كتبا اخرى مساعدة كشرح السهيلي واخرى ثانوية جمعت بين مواضيع التاريخ العام والانساب واللغة.

واستطاع المؤلف ان يأتي بجديد او بميزة امتازت بها سيرته من خلال الفصول التي تحمل اسم (الفوائد) هذه الفصول هي فوائد مضافة إلى اصل الموضوع فهولم يترك خبراً او شخصا او مكانا او لفظا غامضا الا واتى بتوضيح او تعريف مناسب له، ليصبح الخبر والموضوع بعد ذلك مكتمل الاركان والاغراض، وتبلغ فصوله المسماة بالفوائد واحداً وعشرين فصلا اعقبت معظم المفردات المهمة في السيرة.

اضافة إلى ذلك فان لسيرة ابن سيد الناس اهمية تاريخية تتحدد باحيائه لمثل هذا الاتجاه في التأليف بعد انقطاع دام عدة قرون باستثناء ماالفه بعض العلماء كالقاضي عياض مثلاً.

وبعد فقد اثنى على تأليفه هذا كل من ترجم له من العلماء وعلق عليها ابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٨٤١هـ حاشية سماها (نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس) واعتنى محمد بن يونس الشافعي المتوفى سنة ٨٤٥ (١) . ينظم هذه الحاشية وقد اهتم علماء المغرب بدراسة هذه السيرة وعدت من ضمن المقررات في هذا العلم وقد اورد ابن غازي المتوفى سنة ٩١٩هـ عدة اشارات تخص قيمة واهمية هذه السيرة (٢).

ان كتاب ابن سيد الناس هذا يعد من أمثل الكتب المؤلفة في السيرة النبوية خلال هذه الفترة قياسا الى المؤلفات الاخرى التى ألفت،فالامام الذهبي وابن كثير كلاهما الف في هذا المجال وكلاهما استقى من هذه السيرة بشكل او بآخر وان اهملا الافصاح عن ذلك،وما الف بعد هذا التاريخ من كتب في السيرة فلا تعدو الاكونها عيالا على ما ذكره وحققه ابن سيد الناس.

ومهما يكن من امر فان جهود العلماء ومنهم ابن سيد الناس يعد جهداً مضافا الى جهود العلماء القليلين الذين برزوا ليعطوا القرن الثامن الهجرى سماته العلمية الواضحة من خلال عدد من المؤلفات التى ألفوها وفي فنون العلوم المختلفة في وقت قلّ بـه الطلب ونزر الابداع واهملت الروايةاو درست وقد عبر الذهبي عن ذلك بقوله :«وقد قل من يعتني بالاثار ومعرفتها في هذا الوقت في مشارق الارض ومغاربها على رأس السبعمائة ، اما المشرق واقاليمه فغلق الباب وانقطع الخطاب واما المغرب وما بقي من جزيرة الاندلس فيندر من يعتني بالرواية كما ينبغي فضلا عن الدراية» (٣) ، ولا

(١) كشف الظنون : ١١٨٥/٢ .
(١) فهرسة ابن غازي المكناسي : ورقة ٤٣ و
(٣) طبقات الحفاظ ٤ :/١٤٨٥

خلاف فالذهبي من علماء العصر الافذاذ في بلاد المشرق وقوله فيه دلالة على صدق الواقع يزيده وثوقا ما حكاه الوادياشي ايضا عن قلة المعتنين بالرواية حيث ذكر انه لم يجد في الديار المصرية من يحمل مصنف النسائي رواية ابي بكر محمد بن معاوية بن الاحمر سند المغاربة حتى رواه عن شيخه ابي العباس احمد بن الغماز بأسانيده (١) .

فرحم الله ابن سيد الناس وعلماء هذه الامة الذين رفدوا ينابيع العلم الثرّ بالكتاب المفيد والقول السديد.

---

(١) برنامج الوادياشي، ورقة ٦٧ و

المصادر والمراجع

- اخبار مكة، لابي الوليد محمد بن احمد الازرقي
  تحقيق رشدي الصالح ،ط: مكة المكرمة ١٩٦٥م
- الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ،للقاضي عياض ت ٥٤٤هـ
  تحقيق احمد صقر، مطبعة السنة المحمدية ،١٩٧٠م
- انباء الغمر بابناء العمر، لابن حجر ت٨٥٢هـ
  تحقيق د. حسن حبشي ،القاهرة، ١٩٦٩م
- برنامج الواديا شي المتوفى سنة ٧٤٩هـ
  مخطوط الاسكوريال تحت رقم ١٢١٤.
- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين
  ترجمة د. محمود فهمي، القاهرة ١٩٧٧.
- تاريخ الطبري، المتوفى سنة ١٣٠هـ
  تحقيق ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر.
- تاريخ اليعقوبي: احمد ابن جعفر
  بيروت ١٩٦٠.
- تذكرة الحفاظ، الذهبي محمد بن احمد المتوفى ٧٤٨
  حيدر اباد ط٣، ١٩٥٨.
- التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، ط٢، دار المعارف مصر.
- التنبيه والاشراف، للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٥هـ، القاهرة ،١٩٣٨م.
- الدرر الكامنة، لابن حجر.
  تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦.
- ذيل تذكرة الحفاظ ،للسيوطي ت ٩١١هـ، مطبعة التوفيق، دمشق ١٣٤٧هـ.

ـ ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ـ دمشق ١٣٤٧هـ.
ـ الروض الانف، للسهيلي ت ٥٨١، مطبعة مصر.
ـ زاد المعاد في بد هدى خير العباد ،ابن قيم الجوزية، طبعة بيروت.
ـ سيرة ابن اسحاق، تهذيب ابن هشام ،مطبعة المدني، مصر.
ـ سيرة ابن كثير الدمشقي ت ٧٤٧هـ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة ١٩٦٤م.
ـ السيرة الحلبية، برهان الدين الحلبي ت ٢٠٤٤هـ ط١، مصر ١٩٩٤.
ـ شذرات الذهب، لابن العماد، طبعة القدس، مصر ١٣٥٠هـ.
ـ صحيح الامام البخاري ،دار احياء التراث العربي، بيروت.
ـ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، للادفوي ٧٤٨هـ.
تحقيق سعد محمد، القاهرة ١٩٦٦م.
ـ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ت٧٧١هـ ، الحسينية ، ١٣٢٤هـ.
ـ طبقات الشافعية للاسنوي ت ٧٧٢،
تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد ١٣٩١هـ.
ـ طبقات الحفاظ، للسيوطي، مطبعة الاستقلال، ١٩٧٣.
ـ الطبقات الكبير، لابن سعد، ليدن ١٣٢٢هـ.
ـ علوم الحديث، صبحي الصالح ط ١٠ ـ بيروت ١٩٧٨م
ـ فوات الوفيات، لابن شاكر ت ٧٦٤هـ ـ مصر ١٩٥١م.
ـ كشف الظنون، حاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ طبعة بالاوفسيت ـ مكتبة بغداد
ـ فهرست ابن غازى المكناسي ت ٩١٩، مخطوط الاسكوريال تحت رقم (١٧٢٥)٢
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي ت ٧٦٨هـ، حيدر اباد ـ ١٣١٩هـ

ـ المعارف لابن قتيبة ت ٢٧٦
تحقيق ثروة عكاشة: ط ٢ دار المعارف مصر.
ـ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ت ٣٩٥هـ
تحقيق عبد السلام هارون ط٢، مصر ١٩٧٠م
ـ معرفة علوم الحديث، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ
تحقيق معظم حسين، بيروت، ط٢٠ ١٩٧٧
ـ مغازى رسول الله، لعروة بن الزبير، برواية أبي الاسود عنه جمع وتحقيق د. محمد مصطفى الاعظمي ـ الرياض ١٩٨١.
ـ المغازى للواقدي: حمد بن عمر المتوفى سنة ٢٠٧هـ
تحقيق د. مارسدن جونس، مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦٦م
ـ مقدمة ابن صلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٦هـ
ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، جمع د. محمد حميد الله. ط٣، ١٩٦٩م، بيروت
ـ منهج النقد التاريخي د. عثمان موافي ط٢، الاسكندرية ١٩٧٦.
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (الخطط)، للمقريزي، تقي الدين احمد بن علي المتوفى سنة ٨٤٥هـ ـ مصر، بولاق ـ ١٢٩٤هـ
ـ الوافي بالوفيات، للصفدي، نشر المستشرقين الالمان ١٩٣١ ـ ١٩٧٠.